

المبارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

تابع لما قبله

مرت السنون ، ودعنى مصالحة الأسرة للعيش فى هذه القرية المظلمة فى مقاطعة « يرنا » ؛ ولم تمنيت لو أتيت لى العودى إلى حياة الجنديى وما كان لى فيها من متعة الاجتماع ولذة الشباب ؛ وكانت حياتى هنا مئة فى تشابه أيامها قاتمة لندرة حوادثها ، أفضى وقتى حتى الغداء فى التحدث إلى المالك أو فى مراقبة العمال ومشاهدة المباني الجديدة ، فإذا جن المساء — وخصوصاً أمسيات الشتاء والربيع الطويلة المزعجة — لم أجد ملهاة ولا تسلية ، فقد قرأت الكتب القديمة الموجودة كلها ، واستعدت من خادمتى العجوز « كربولونا » القصص التى تحفظها أكثر من مرة ، ولم أكن أميل إلى أغاني القرويين لما فيها وفى معانيها من الحزن والألم والحسرة ، وحظى من هذا كله كثير ، أما الشراب فقد كنت أنجرع كل ما تصل إليه يدي على رداءة نوعه وحدة طعمه ، وقد تمنيت أن أكون سكيراً كهؤلاء الذين تكتظ بهم هذه القرية الغريبة .

وكان جيرانى الأقربون جماعة من السكيرين ، حديثهم زفرات متصلة وأنان متقطعة ، فكيف لا أؤثر الوحدة على الاجتماع هؤلاء ؟ ولم أجد حلاً لهذا السأم سوى التكبير فى اليقظة ، والباخير فى تناول الغداء ، حتى يطول نهارى ويقصر ليلى .

وعلى بعد أربعة فراسخ من منزلنا توجد المقاطعة الجميلة التى تملكها « الكونتس بيروفنا » ويسكن هذه المقاطعة وكيل السيدة ، أما هى فلم تزرها غير مرة واحدة فى الشهر الأول من زواجها . وفى يوم من أيام العام الثانى لحياتى فى هذه القرية سمعت أن الكونتس وزوجها سيقضيان الصيف فى مقاطعتهما ، ولقد وصلا حقا مع جاشيتهما فى النصف الأول من شهر يونية .

وليس من شك فى أن قدوم جار غنى يعتبر حادثاً هاماً فى حياة الريف ، وقد تحدث الناس عن هذا الحادث قبل حدوثه بثلاثة أسابيع ، ولا يزالون يتحدثون فيه حتى اليوم مع مرور ثلاثة أعوام عليه ، أما أنا فلم يثر فى غير الشعور بقرب سيدة شابة رائعة الجمال ، حتى إذا جاء الأحد الأول على إقامتهما تناولت غدائى وأسرع إلى قصرهما لأقدم نفسى للسيدة بصفتى جارها القريب وخادمها المطيع .

قادنى الحاجب إلى المكتبة فبهرنى أثاثها البديع ومساحتها المتسعة ، هارفوف صفت الكتب والمجلدات فوقها على كل منها اسم مكتوب بالبرنز ، وهناك تماثيل ومرآة ، وعلى الأرض بساط أخضر عليه سجاجيد عجمية رائعة النقوش ، ولما لم أكن متعوداً هذه المناظر المترفة شعرت بضالة مركزى وضعة شأنى ، وداخلنى شعور غريب فيه من الحيرة والخلج ما فيه ، وأصبحت كالفلّاح الساذج الذى يطلب مقابلة الوزير !

فتح الباب ودخل رجل فى الثانية والثلاثين أو يقاربها ، فما رأتى حتى هسل وابتسم فى وجهى ... أخذت أسرد عبارات التحية المعروفة كأن أقول أنتى مسرور بلقائه وأن ... وأن ... ولكنه وقفنى عند حدى بحديثه الطريف ورحب بى .

وما ان استعدت هدوء نفسى أمام ابتسامته وتواضعه حتى فتح الباب ودخلت الكونتس ، هنا اصططكت ركبتي وانهقدلسانى ... لقد كانت آية من آيات الجمال والرشاقة ، ولم حاولت أن أحياها فلم أستطع ولا حظ الكونت اضطرابى فراح يقدمنى إلى زوجته فى أسلوب عادى كأننى صديق قديم .

وجلست بنظرى فى المكتبة حتى استقرت عيناي على الصور ولم أكن من غواة الصور أو نقادها ، ولكن صورة واحدة استوقفتنى لالما تمثله من المناظر السويسرية الساحرة ولكن لأنى طلقنت اخترقتها واحدة فوق أخرى !

التفت إلى الكونت وقلت « ما أجمل هذه الصورة ! فرد مبتسماً » نعم ! وهى على جمالها لها عندى مركز خاص . هل تحسن إطلاق الرصاص ؟ »

فأجبت على سؤاله مسرعاً لأننى وجدت فرصة سانحة للتحدث فى موضوع أفهمه « أجل ! . وأنا أستطيع إصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة » وهنا تدخلت الكونتس « حقاً ! ... وأنت يا عزيزى هل تستطيع إصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فأجاب الرجل : « لا أدرى ! لقد كنت ما هراً فى الرماية أيام شبانى .. وقد مضى على أربع سنوات لم ألمس فيها بندقية »

قلت « صدقنى يا سيدى أنك لا تستطيع إصابة البطاقة على بعد عشرين خطوة وأنا أراهنك على ذلك ، لأن الرماية تحتاج إلى مران مستمر .. وأذكر أننى لم أستعمل بندقيتى شهراً كاملاً أيام كنت فى الجيش لأنها كانت عند مصلح الأسلحة .. أتدرى ما إذا حدث ؟ لقد أخطأت زجاجة على بعد خمس وعشرين خطوة لا مرة واحدة ولكن أربع مرات متتالية ! وكان لفرقتنا قائد يجب المزاح دائماً فقال . أظنك تحترم الزجاجة أيها الصديق ! فالتمرين واجب .. وأذكر أن أمهر من قابلت فى هذا الضرب من ضروب

الرياضة رجل غريب كان يتدرب على إطلاق الرصاص ثلاث مرات قبل الغداء على الأقل .. وكما أنه لا يستطيع نسيان الكونيك لا ينسى بنديقته مطلقاً !

ورأيت الزوجين يعجبان من حديثي ويقبلان على الانصات سألني الكونت « وما طريقته ؟ » . فأجبت « سأقص ذلك عليك .. كان اذا رأى ذبابة على الحائط .. أنت تضحكين ياسيدتي ؟ أقسم لك أن ما أقوله حق لا ريب فيه .. ثم ينادى خادمه . كوسكا هات بندقتي ! فيأتى له بها ثم .. طراخ ! فاذا بالذبابة مسطحة على الحائط ! »

فصاح الكونت : « يالها من مهارة ! وما اسمه ؟ » فأجبت « اسمه سيلفيو يا سيدى » فانتفض الرجل واقفا وهو يقول « سيلفيو ؟ وهل عرفت سيلفيو ؟ »

قلت « أعرفه ؟ لقد كنا صديقين .. وكان سيلفيو معى فى الفرقه ؛ وها قد مضت خمسة أعوام على ذلك .. هل تعرفه أنت ؟ » فقال الكونت « أجل أعرفه تماما . أو لم يخبرك عن حادث فريد وقع له ؟ »

— « اخبرنى كيف لطمه شاب وقع على وجهه فى مساء أحد الايام » — « وهل ذكر لك اسم هذا الشاب الوقح ؟ »

« لا لم يطلعنى على اسمه .. آه ! » وهنا استدركت لانه يغلب على ظنى أن الشاب هو الكونت وقلت « عفوا سيدى .. لم أكن أعلم ! . ولكن يغلب على ظنى أنه أنت ! » أجاب الكونت فى ارتباك - أجل هو أنا .. وهذه الصورة ذات الثقب نتيجة لقائنا الاخير ! »

هنا اعترضت الكونتس قائلة « نشدتك الله يا عزيزى ألا تتحدث فى هذا الموضوع ، ان مجرد التفكير فيه يرعبنى حتى اليوم ! » ولكن الكونت لم يحقق رجاءها بل قال « يجب أن يعرف السيد كل ما يتصل بالموضوع ، فهو يعلم كيف أهنت صديقه فمن الواجب أن نروى له كيف انتقم ذلك الصديق »

ودعانى الرجل الى الجلوس قريبا منه فى مقعد ذى مسند وأخذت أنصت لهذه القصة

« تزوجنا منذ خمسة أعوام وقضينا شهر العسل فى هذا المنزل ؛ وفى الحق لقد كانت أهنأ أيام حياتى لو لم تعكرها هذه الحادثة المزعجة .

« وفى مساء أحد الايام ركبت مع زوجتى للزهوة ولكن الجواد جمع بنا حتى ارتفعت زوجتى ورجتى أن أعود بالعرة الى الاصطبل أما هى فستعود سيرا على الاقدام ، ولم أكد أصل الى الدار حتى رأيت عربة سفر أمام الباب . وقيل لى أن انسانا لم

يذكر اسمه ينتظرنى لمهمة خاصة فى المكتبة .. أسرع الى هناك فوجدت رجلا لا يزال فى ثياب السفر له لحية طويلة ، وأخذت أذكر أن رأيت قبل ذاك ..

وقال الرجل بأولا تذكرنى أيها الكونت ؟ ، وكان صوته مضطربا .. فصحت عند ذلك : سيلفيو !

وأقول الحق لقد وقف شعرى من الرعب . وقال صاحبنا جئت لأطلق رصاصتى . فهل أنت مستعد ؟ ، ورأيت بنديقته بين طيات ثيابه وعددت اثنتى عشرة خطوة ورجوته أن يسرع فى مهمته لان زوجتى فى الطريق الى المنزل ؛ ولكنه قال أريد النور أولا ، لذلك طلبت الشموع .

« ثم أغلقت الباب وأمرت ألا يسمح لأحد بالدخول ، ورجوته مرة أخرى ان ينجز مهمته فرفع بنديقته وأخذت أعد الثوانى ولم أكن أفكر فى غير زوجتى حتى اذا انقضت دقيقة كاملة خفض بنديقته وقال « أنا آسف جداً لأن بندقتى ليست محشوة ببذور الكريز ! والرصاص كما تعلم صعب الاحتمال ! ولكن تعال نفكر فى المسألة مرة أخرى .. لا أرى مبارزة فيما أنا مقدم عليه .. بل هى أقرب ما تكون الى القتل ، وليس من عادتى اطلاق الرصاص على شخص أعزل من السلاح ، هيا نبداً المبارزة من جديد فترى أينأ يبدأ .. وأعدنا ورقتين كتبنا فى الأولى رقم ١ وفى الثانية ٢ ووضعناهما فى القبة التى أصبتها فى المبارزة الأولى .. وتناول كل منا ورقة دون أن ينظر فيها فاذا بورقتى رقم ١ وهنا صاح سيلفيو « لا أنكر أيها الكونت أن حظك حسن كحظ الشيطان ! » « لم أفهم غرضه وأجبرنى على أن أطلق رصاصتى التى لم تصبه بل أصابت الصورة التى تراها ! »

وأشار الرجل الى الصورة التى استرعت انتباهى أول جلوسى وصار وجه الكونت أحمر قرمزيا وأصبح وجه زوجته كوجوه التماثيل الرخامية البيضاء . أما أنا فقد تعثرت بين شفتى أنه خافته وأتم هضيفى قصته :

أشكر الله لقد أخطأته رصاصتى : أما هو فقد كان رابط الجأش ثابتاً ينتظر .. فتح الباب فجأة ودخلت زوجتى فلم تكدر ترانا على هذه الصورة حتى ألقت بنفسها عند أقدامى ، وهنا استعدت شجاعى وقلت لها ، عزيزتى ، ألسنت ترين أننا نمزح ؟ اذهى واشربى قدحا من الماء ثم عودى إلينا ، وعند عودتك سأقدم اليك صديقى وزميلي القديم ، ولكنها لم تصدقنى وسألت سيلفيو فى رهبة وتأثر ، هل أصدق زوجى فأعتقد أننا تمزحان ، فأجاب ، انه يمزح دائما ياسيدتى ، اتق مرة أن صغنى وهو يمزح ، وأصاب (البقية على صفحة ٤٢)